

التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500 هـ - 537 هـ / 1106م - 1142م)

د. إيمان عبد الرحمن حسن العثمان(*)

ملخص البحث

عاش أهل الذمة في المغرب العربي في عهد المرابطين أوضاعاً اجتماعية ودينية، خضعت في بعض الأحيان لأحوال الاقتصادية، فشهدوا نتيجة ذلك فترة من الشدة تخللتها فترات أخرى من التسامح حسب أحوال الدولة، وعلى الرغم من عمليات التغريب التي تعرض لها أهل الذمة في دولة المرابطين وبعض الإجراءات التي فرضت عليهم في فترة من فترات العصر المرابطي*، إلا أنهم تمتعوا بحقوق، ونقلوا مناصب عليا في الدولة، وعلى جميع المستويات، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل كانت روح التسامح التي شاعت بينهم وبين سكان المغرب سمحت بظهور تأثيرات متبادلة بحكم وجودهم على أرض واحدة، وكان لهذا التعايش تجليات مهمة جعلت للمجتمع المرابطي سمات واضحة المعالم، أهمها التنوع الحضاري والإنساني، وفي هذا البحث نستعرض حقوق أهل الذمة من النصارى واليهود في المجتمع المرابطي في عهد (علي بن يوسف) سنة 500 - 537 هـ، ثم نتطرق إلى تفاعل هؤلاء مع المسلمين في حياتهم الاجتماعية والتأثيرات المتبادلة فيما بينهم.

(*) مدرس في قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الموحل.

التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500 هـ - 537 هـ /
1106م - 1142م)
د.إيمان عبد الرحمن حسن العثمان

The Indulgence between the Muslims and the Christians in
the Al-Murabiteen's State at (Ali Bin Yousif's Era (500-
537 A.H)

Dr. iman Abed Al_rahman Hasan Al-othman

ABSTRACT

The Christians lived with the Arabs in north of Africa at the Al-Murabiteen's era with social and religious states submitting to the economical states sometimes. As a result, they witnessed severe stages containing some indulgent stages according to the states' conditions . Though the Christians witnessed some bad and disturbing conditions at the Al-Murabiteen's era , they got good rights like getting high positions in the state over the all levels . The indulgence between the Muslims and the Christians allowed to spread reciprocal effects between them . The indulgence had important effects giving the Al-Murabiteen society clear aspects like humanistic and cultural variety .

The research shows the Christians and the Jewish states in the Al-Murabiteen's society and its classes at Ali Bin Yousif's era (500-537 A.H) , then it deals with the interaction of those people with the Muslims socially and the reciprocal effects between themselves.

نبذة مختصرة عن دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف

(500 هـ - 537 هـ / 1106م - 1142م)

قامت الدولة المرابطية على أساس حركة دينية إصلاحية، واحتفظت بهذا الطابع الديني معظم حياتها، وتبين ذلك في سيطرة الفقهاء على شؤون الدولة وتوجهها. وفي المراحل الأولى لتكوين الدولة كان اهتمامها منصب في أعمال الجهاد سواء في المغرب أو الأندلس وكان نفوذ الفقهاء واضحاً في تسيير الدولة، واعتمد الأمير مبدأ الشورى، فكان يستفتيهم في أمور الدولة لكي يلتزم له السند الشرعي^(١).

وأشدد إيثار علي بن يوسف لعلماء الدين والفقهاء، فكان لا يقطع أمراً في جميع دولته دون مشاورة الفقهاء، ولا يقرر في أمر إلا بعد استشارة أربعة من الفقهاء، فبلغ الفقهاء في عهده مبلغاً كبيراً وتولوا مناصب عليا في الدولة وعلى هذا الأساس وصف القاضي ابن أبي العريبي حكم المرابطين بأنهم أقاموا الحق ونصرة الدين وهم حماة المسلمين^(١).

تولى الحكم الأمير علي بن يوسف بعد وفاة والده يوسف بن تاشفين^(٢) سنة (500 هـ / 1106م)، دولة مترامية الأطراف تتمتع بالهدوء والاستقرار والرخاء الاقتصادي، وكان عمره قد جاوز الثانية والعشرين واختير من قبل يوسف بن تاشفين سنة (495 هـ / 1101 م) ويبيع له من قبل أشياخ لمتونة ثم من قبائل صنهاجة^(٣).

وكان علي بن يوسف بن تاشفين أميراً شديداً للدين، حريصاً على الجهاد في سبيل الإسلام، منصرفاً إلى مجالسة الفقهاء، قضى سنوات طويلة من شبابه في الأندلس، فدرس في اشبيلية على أيدي فقهاء كبار وحصل على ثقافة واسعة، وعندما تربع على العرش تجلى عن أمير عالم فقيه، وأخذ من حضارة الأندلس الكثير وكان يميل إلى احترام شخصيات الآخرين، ويعطي رجاله مجالاً واسعاً حراً للعمل، لهذا آمن الناس في أيامه واطمننوا إليه، وقد أهتم علي بن يوسف بالدفاع عن بلاده وتصديه بشجاعة لمحاربة النصارى الأسبان في الأندلس وأرسل خيرة رجاله وقواته للمشاركة الجهاد، وإذا كان أبوه قد كسب موقعة الزلاقة الشهيرة ضد الأسبان، فقد كسب هو معركة أقليش سنة (501 هـ / 1116م)، ومعركة افراغة سنة (528 هـ / 1134م)، التي لقي الفونسو المحارب ملك أرغون مصرعه بعد أن كثر آذاه للمسلمين^(٤).

أهل الذمة

أطلق أسم أهل الذمة على الرعايا غير المسلمين، والذمة هي العهد والأمان والضمان والحق، وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم.

وسمي المعاهد ذمياً لأنه أُعطي الأمان من المسلمين على ذمة الجزية التي تأخذ منه^(٥).

والجزية هي (مبلغ من ال - مال يفرض على من دخل في ذمة المسلمين وعهدهم من أهل

الكتاب)^(٥)، وسبب وضع الجزية هو قوله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا

التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500 هـ - 537 هـ /
1106م - 1142م)
د. إيمان عبد الرحمن حسن العثمان

بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُجْرَمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
وَهُمْ صَاحِبُونَ^(١).

وبحكم مشروعيتها قد فرض الإسلام الجزية على الذميين مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتساوى الفريقان، وأوجب الله الجزية للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن الذميين وحمايتهم في البلاد الإسلامية التي يقيمون فيها، ولهذا يجب بعد دفعها حمايتهم والمحافظة عليهم ودفع الأذى عنهم^(٢).

النصارى:

عومل أهل الذمة في عهد الأمير علي بن يوسف، وفقاً لتعاليم كتاب الله والسنة، ولم يكن المرابطون بتلك الغلظة التي وصفهم بها خصومهم في معاملة النصارى إذ أشركهم الأمير علي بن يوسف في الجيش بالرغم من أن الجيش كان من أهم أجهزة الدولة المرابطية وكان جل الجيش من البربر الصحراويين من قبيلة لمتونة التي امتازت بشجاعتها وكان معظم قتالهم راجلة^(٣). وكان الأمير علي أول من استخدم النصارى في بلاطه وأولاهم مناصب في القصر ولم يرجع هذا الميل فقط إلى أن والدته كانت نصرانية بل إلى الثقة التي أبدوها تجاه حكم المرابطين فجعل منهم فرسان في حرسه الخاص^(٤)، وكان لهم دور كبير في تقديم البيعة لكل أمير مرابطي جديد مما يعكس النفوذ الذي تمتعوا به داخل البلاط^(٥)، ووصل عددهم في العصر المرابطي إلى أربعة آلاف وكان أغلبيتهم في فاس^(٦)، بالإضافة إلى مدينة فاس كان هناك تجمعات نصرانية بالمغرب الأقصى وعلى الخصوص في مدينة مراكش، وقد سكنوا في أحياء خاصة بهم، ففي هذه المدينة خصص لهم حي بكل مرافقه من حانات وأسواق لبيع الخمر ولحم الخنزير^(٧)، فضلاً عن أن الحامية النصرانية قامت بدور الحرس الأميري وقد تعدى الأمر إلى أن وصل بعضهم إلى مراكز القيادة في الجيش مثل الروبرتير وهو قائد أصله من برشلونة وسمي من قبل المؤرخين العرب بهذا الاسم، وكان قد أبلى بلاءً حسناً في الذود عن حياض الدولة المرابطية، كما كانت لهم وظائف في الدولة مثل الجبايات^(٨).

ولا شك أن الأندلسيين مسلمون ونصارى كانت لهم مكانة عند الأمير علي بن يوسف، فقد ساهموا بقسط كبير في الإصلاحات الإدارية التي نهضت بها دولة المرابطين^(٤٠)، فقد كان في هذا العصر كثير من علماء المسلمين من أتقن لغات النصارى المجاورين لهم، كاللغة اللاتينية، فترجم كثير من المعارف من اللغة اللاتينية إلى اللغة العربية، فضلاً عن كثير من علماء المسلمين الذي عاشوا في زمن علي بن يوسف مزجوا ما بين كتاباتهم وفلسفة اليونان، مثل العالم أبو بكر بن باجة (ت 547 هـ / 1152م)^(٤١). فاستفاد المغرب من تلاحمه مع نصارى الأندلس أديباً وعلمياً وفتياً، فضلاً عن الكثير من الصناع القرطبيين اللذين شاركوا في مؤسسات في مدن مغربية كمدينة فاس^(٤٢).

وقد سمح للنصارى بتشبيد الكنائس في المناطق التي ينزلون بها كما سمح لهم بإقامة شعائهم الدينية، وفي ميدان التعليم تم تدريس الكتب الخاصة بأحكام أهل الذمة^(٤٣). وتمتع اليهود في عهد علي بن يوسف بامتيازات لم يحصلوا عليها منذ عهد طوبلة وبلغت حرية النشاط الديني ذروتها مع إسحاق الفاسي اليهودي الذي خلف موسى بن عزرا في منصبه حبر غرناطة ولعب دوراً أساسياً في التكوين الديني لليهود الأندلس^(٤٤). ومن المظاهر الخاصة بالنصارى تشير إلى أن الدولة المرابطية خصصت لهم مقابر تماشياً مع تقاليدهم في دفن موتاهم في مقربة الذميين^(٤٥). فضلاً عن أن كنائسهم المشيدة بقيت حتى القرن الثامن الهجري^(٤٦).

وعلى المستوى الاجتماعي لعب الأسرى النصارى في المغرب دوراً تقنياً مهماً يتجلى في حفرهم أربع مائة قناة كانت تمر عبرها مياه جبل درن على مبنى خاص يجتمع فيه المياه بمراكش، ونقل النصارى بعض العادات الاجتماعية والاحتفالات التي تأثر بها المغاربة والأندلسيون^(٤٧).

وعلى صعيد حقوقهم الاجتماعية لا تعوزنا الأدلة في إبراز مدى احترام المرابطين لحقوقهم والضرب على أيدي كل من حاول المس بها فقد ورد عن ابن عذاري أن مجموعة من نصارى غرناطة ذهبت إلى بلاط الأمير (علي بن يوسف) لتقديم شكوى حول الجور الذي تعرضت له من

التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500 هـ - 537 هـ /
1106م - 1142م)
د.إيمان عبد الرحمن حسن العثمان

قبل عامل المدينة عمر بن ينال، فلما ثبت للأمير حجتهم أمر بسجنه وأنصفهم في شكواهم^(١٤).
كما كان لهم قاضي خاص بهم يحل مشاكلهم ونزاعاتهم ومن دون تدخل الإدارة المرابطية في
شؤونها، وهذا يدل على مدى ما كانت الدولة تتمتع به من روح المسامحة^(١٥).

وعلى الصعيد الاقتصادي فيبدو أن الجاليات النصرانية التي كانت تتردد على المغرب أدت
دوراً في تنشيط بعض الموانئ التجارية^(١٦). فضلاً عن أن قسماً منهم قصد مراكش ليقوموا في بلاط
الأمير علي^(١٧).

وفي ميدان الزراعة ساهم النصارى المبعدون إلى المغرب الأقصى بتطوير المجال الزراعي
وخاصة في مدينة فاس^(١٨) بفضل خبرتهم العميقة في الزراعة وكانت دافعاً قوياً للإنتاج الزراعي.
وكانت أهم مظاهر التسامح الديني بين المسلمين وأهل الذمة زواج الأمراء المرابطين
بالنصرانيات، فضلاً عن مشاركة المسلمين بالأندلس النصارى احتفالاتهم الدينية في بعض
الأحيان مثل عيد مولد المسيح أو عيد سانت خوان^(١٩). ولا شك أن هذه المشاركة الروحية ترجع
إلى الحياة المشتركة التي عاشها الطرفان جنب إلى جنب قروناً طويلاً فقد انصهرت تلك العناصر
في مجتمع المرابطين عن طريق المجاورة والمصاهرة، فحدث الالتحام بين ثقافات هذه العناصر،
وعلى غرار الأندلس تأثر المغاربة ببعض الاحتفالات فقد لا حظ الوزان أن الاحتفالات بليلة ميلاد
المسيح في مدينة فاس ظلت سائدة حتى عصره^(٢٠).

ويمكن القول أن نصارى المغرب الأقصى في عصر المرابطين تمتعوا بنشاط اقتصادي
 واجتماعي مهم بالرغم من هذا، فإن بعض الإجراءات التي تم اتخاذها بحقهم منها محنة
التغريب^(٢١)، التي حدت بعلي بن يوسف إلى إصدار ذلك القرار بعد أن أقنع العالم بن رشد^(٢٢)
علي بن يوسف بتغريب النصارى وذلك للمكائد التي حاكها النصارى لتمكين الفونسو المحارب من
السيطرة على غرناطة سنة (515هـ / 1122م) وقد تم الجلاء بثلاث مراحل من مدن مالقة
وغرناطة وأشبيلية^(٢٣)، إذ تم إبعادهم ونفيهم قسراً من الأندلس نحو العدو، وبالرغم من هذه
المعاملة الحسنة في التسامح مع النصارى في المغرب والأندلس إلا أنهم لم يفتأوا أن أخذوا
يتآمرون على المسلمين وذلك بتعاملهم مع نصارى شمال أسبانيا وأصبحوا عيوناً لهم على

المسلمين يبذلون لهم أقصى مساعدة يستطيعون تقديمها لهم عند خروجهم في غزوات مخربة في أرض المسلمين، وعلى أثرها كانت هناك بوادر السخط على المعاهدين والتوجس من مكائدهم، واتضح ذلك في غزوة الفونسو المحارب للأندلس عام (520هـ / 1126م) (١٣). حيث اخترق الأندلس من شمالها إلى جنوبها ووصل إلى ساحل البحر المتوسط وقد أيده النصارى بعدة الآف من خيرة مقاتليهم، وأخفق المرابطون في التصدي لهم، فضلاً عن ذلك وقف النصارى في الأندلس ضد الدولة المرابطية إذ تمكن بعضهم من استغلال الفتن والانقسامات التي اندلعت في السنين الأخيرة من حكم المرابطين فأسسوا إمارات مستقلة مثل ابن همشك ملك جيان وشقورة وكثير من أعمال غرب الأندلس (١٤).

وهؤلاء اقتبسوا من مسلمي الأندلس الكثير من المظاهر في عصر الطوائف والمرابطين خاصة أن المجتمع المرابطي بعد عهد يوسف بن تاسفين ظهرت فيه نماذج مترفة في هذا المجال (١٥). فقد قلد بعض ملوك الأسيبان في فترة المرابطين طريقة المسلمين في ارتداء الملابس وفي استخدام الفرش المستعملة في أماكن الجلوس (١٦).

اليهود:

كان اليهود قبل قيام دولة المرابطين مقيمين في فاس واغمات، وكانوا يشكلون جزءاً صغيراً من السكان الأصليين للمغرب بجانب البربر والأفارقة والروم (١٧). وفي عصر المرابطين دخل فئة من اليهود المغرب والأندلس كتجار مقيمين دون أن يخضعوا لأحكام أهل الكتاب وظلوا يمثلون طائفة مستقلة بشؤونها، أو مرتبطة بالأمرء عن طريق الخدمات التي كانوا يقدمونها لهم سواء في الميدان السياسي أو الاقتصادي (١٨). وبالرغم من أن أغلبية اليهود استوطنت فاس واغمات كما تم ذكرهم سابقاً إلا أن قسماً منهم سكن في مدن مغربية وأندلسية أخرى، ويبدو أن عدداً قليلاً منهم قد أستقر في البوادي، وذلك بحكم ابتعاد اليهود عن العمل الزراعي، وتعاطيهم كلياً للتجارة ففي المغرب الأقصى انتشروا في معظم المدن المغربية وكان انتشارهم من مدينة سرت إلى مدينة تاهرت في المغرب الأوسط،

التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500 هـ - 537 هـ / 1106م - 1142م)
د.إيمان عبد الرحمن حسن العثمان

وكانت هذه المدينة محطة مهمة لتجارتهم إلى بلاد السودان إلا أن الأغلبية سكنوا مدينة فاس في عصر المرابطين التي وصفت بأنها أكثر بلاد المغرب يهوداً ثم مكناسة وسجلماسة^(٤٧). وفي الأندلس كانت مدينة غرناطة أكثر المدن التي يسكنها اليهود، فضلاً عن مدينة اليسانة وهي مدينة يهودية خالصة كان أهلها لا يختلطون بأحد وهم أغنياء مياسير^(٤٨). ومن الثابت أن اليهود أدوا دوراً مهماً في عصر المرابطين، لاسيما في عهد الأمير علي بن يوسف، ولا شك أن روح التسامح التي ميزت المرابطين من الناحية الدينية تحالف المعاملة القاسية التي لقيها مسلموا بلنسية على يد العناصر اليهودية أثر استيلاء النصارى عليها^(٤٩). تمتعوا اليهود في عهد علي بن يوسف بالمعاملة الحسنة، وهناك أدلة عن روح التسامح منها أن الأمير عندما أراد أن يزيد في بناء مسجد القرويين اشترى أرض من ملكية اليهود ولم يتم باغتصابها منهم^(٥٠). وفي مدينة مراكش كان لهم حي خاص لليهود وقد بنوا فيه دياراً ومعابد وكانت لديهم مدارس في المدن التي أقاموا بها مثل تلمسان وسجلماسة، وكانت مدارسهم ملحقة بالمعابد، وقد تقلدوا بعض المناصب في الأندلس حتى من قبل دولة المرابطين، ومثال على ذلك كان ملك غرناطة باديس قد أخذ وزيراً يهودياً للدولة يلقب بابن نغزالة^(٥١). فضلاً عن ذلك تقلد بعض اليهود منصب الكتابة فقد ذكر ابن عذاري^(٥٢) أن أحد كتاب بني عمران كان يهودياً في غرناطة وأنه أصبح يحشر نفسه في أمور السياسة حتى نجح في اغتيال أحد مساعدي العامل المذكور. وفي عهد المرابطين في الأندلس وكل إليهم مهمة جباية الضرائب من طائفتهم اليهود كما عهدوها إلى النصارى في المغرب، وذلك لأنهم يعلمون أن أمثال هؤلاء يخافون السلطات ويترددون طويلاً قبل أن يقدموا على التلاعب في الجبايات أو أن يفرطوا في أداء الواجب^(٥٣). وكانت للطائفة اليهودية مؤسساتها القضائية الخاصة التي تعنى بفض المشاكل والنزاعات بين أفرادها دون تدخل الإدارة المرابطية في شؤونها^(٥٤).

وقد أسند لهم في عهد علي بن يوسف بعض المناصب المهمة، ومثال على ذلك كان أطباء علي بن يوسف من اليهود كأبي أيوب سلمان بن المعلم، وأبي الحسن بن عبد الرحمن بن ميار اللذين لقبا لمركزهما الذي كانوا يتمتعون به بالوزراء^(٤٠).

وبالنسبة للمهن التي أمتنها اليهود فمن المعلوم أنهم كانوا بارعين في التجارة، فقد اشتهروا بحبهم لهذه المهنة وسكنوا عدة مدن للعمل بها مثل مدينة تاهرت حيث كانت هناك جالية من اليهود تزاوّل الأنشطة التجارية فيها^(٤١).

وكانت أهم تجارة لليهود في المغرب الأقصى هي تجارة الرقيق، حيث لعبوا دوراً في رواجها وساعدهم في ذلك وجود شبكة من اليهود منتشرة في أسبانيا والمغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي مروراً بمصر وبلاد الشام حتى المشرق الأقصى، وكانت هذه التجارة تمر في هذه البلاد مستغلين معرفتهم باللغات.

فضلاً عن المصدر الذي يأتي منه الرقيق إلى المغرب الأقصى بلاد السودان الغربي وذلك بفضل تنظيم قوافل تجارية عبر الصحراء بالذهب والرقيق ومن ثم يتم بيعهم في مراكش وفاس^(٤٢). وكان اليهود الساكنين في مدينة درعة التي تقع جنوب المغرب الأقصى يشتغلون في التجارة، وكان موقع المدينة على الطريق المؤدي من فاس إلى تنبكت وموريتانيا وهو طريق الذهب والرقيق، حيث كان اليهود يرحلون بالمنتجات المغربية ويأتون بالمنتجات السودانية^(٤٣).

وفي مدينة سلجاسة كانت تسكنها أيضاً طائفة من اليهود زاولوا التجارة، وكانت تجارتهم مع ساحل النيجر ومع مصر والهند^(٤٤). فضلاً عن ذلك كان اليهود يلعبون دور الوسيط بين التجار المغاربة وبين التجار الأجانب لإجادة اليهود أكثر من لغة^(٤٥).

وسكن اليهود المدن الساحلية والأماكن التي تتحكم في مفارق الطرق والموانئ مثل ميناء أسفي الذي كان يقيمون به تجار نصارى ويهود. وقاموا بأعمال استلزمها التجارة من مهن خاصة لخدمة التجار مثل السمسة والخدمات السريعة^(٤٦).

أما عن الزراعة فعلى الرغم من اهتمام المرابطين بالزراعة اهتماماً كبيراً ساعدهم في ذلك انضمام الأندلس لدولة المرابطين ومهارة أهل الأندلس في الفلاحة وخبرتهم في الأرض واستنباطهم

التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500 هـ - 537 هـ / 1106م - 1142م)
د.إيمان عبد الرحمن حسن العثمان

أنواع جديدة في زراعة الفواكه والحبوب^(٤٥)، إلا أن اليهود لم يشتغلوا بالزراعة من قبل بل كانوا يفضلون شراء المحاصيل الزراعية ثم الاتجار بها على أن يزرعوا الأرض وذلك لأن الزراعة تتطلب ألانتظار لحين جني المحصول واحتياج الأرض إلى الارتباط بصاحبها بعكس التجارة التي تمكن الفرد من حمل بضاعته والارتحال.

أما الصناعة فقد تميزوا بها وكان توفر الذهب في بلاد المغرب الأقصى عاملاً مشجعاً على إقامة اليهود لأسواق المصوغات الذهبية وخاصة في المدن القريبة من مصادره مثل مدينة سجلماسة ودرعة^(٤٦). وكان في مراكش حي خاص بالصاغة بالقرب من باب أغمات^(٤٧). وفي مدينة تازا كانوا يشتغلون بصناعة الخمر^(٤٨).

فضلاً عن ذلك أشغل اليهود في المغرب الأقصى بحياكة الملابس وصبغها، وكانوا متخصصين في تلوين الخامات وصقلها وتلميعها، ويذكر أن في فاس كان بها ستة عشر داراً للصياغة^(٤٩).

وكانوا يتعاملون مع المسلمين المغاربة بالبيع والشراء، لذلك عاشوا اليهود داخل المجتمع المغربي، وتأثروا به ووصلوا إلى حد أنهم كانوا يستتجدون بكرامات الأولياء وهي من المعتقدات المنتشرة في المغرب الأقصى من قبل المسلمين لقضاء حاجاتهم مما أوجد علاقة ما بين المسلمين واليهود^(٥٠).

ولم تخرج دولة المرابطين في معاملاتها مع اليهود والنصارى عن أحكام السنة النبوية التي سنّها الرسول عليه الصلاة والسلام^(٥١).

وبالرغم من أن الأمير علي بن يوسف حرم عليهم المبيت في مراكش إذ كان أتاح لهم دخولها نهراً للتجارة وفرض عليهم مراقبة صارمة، إذ أبيع دم اليهود متى ما عثر عليه ليلاً في العاصمة، ويبدو أن هذا الإجراء للحفاظ على الأمن والحيلولة دون تنفيذ أي دسائس حيث كانت ظروف البلاد تحتم عليه ذلك^(٥٢).

ومن مظاهر الحرية الدينية للدولة المرابطية إنشاء المراكز اليهودية في المغرب، لاسيما في عهد علي بن يوسف وكل القرائن تنفي ادعاء من فسر هجرة المفكرين اليهود نحو الممالك النصرانية

بأنها نتيجة التعصب الديني الذي أبداه المرابطون ومن الدلائل التي تشير إلى تمتع اليهود من حرية العقيدة والفكر في ظل الحكم المرابطي ظهور العديد من المفكرين والعلماء الذين طوروا الثقافة اليهودية، فظهر العديد من الأسماء اليهودية وهو ما تبين من خلال رصد دورهم الثقافي، وخاصة ما بعد القرنين الرابع والخامس الهجري^(٤٠).

فكان الكثير من الرهبان يأتون من فرنسا ليدرسوا في الاندلس على يد أساتذة يهود، وكانت الكتب المؤلفة باللغة اليونانية تترجم إلى العربية ثم يترجمها اليهود إلى العبرية ثم يعيدون ترجمتها إلى اللاتينية، ومن أعلام الثقافة اليهودية حسداي بن شروط وصمويل بن النغيلة وسليمان بن جبرويل، وقد أسهم الأول في ترجمة كتاب الحشائش للمؤلف اليوناني ليسيقيوريدس إلى العربية، وله إسهامات بارزة في علم الجغرافية^(٤١).

أما في البناء فيبدو تأثير اليهود في المغرب الأقصى عن طريق تعمير المدن الجديدة، حيث جلبت أعداد كبيرة من يهود الاندلس، فقد أقام هؤلاء بالمدن المغربية، وهذا الاختلاط بينهم وبين سكان المغرب، قد مدَّ جسور التأثير الاجتماعي^(٤٢). وكان في سجل ماساة القائمين بعمل البناء يهود^(٤٣).

الخاتمة

أقام المرابطون دولتهم في المغرب الأقصى على أسس ومبادئ الإسلام، فأحسنوا الأساس والبناء، وكانت دولتهم على العموم ذات نظام عادل فيه من الأمن والاستقرار. وفي عصرهم سكن أهل الذمة من نصارى ويهود المغرب الأقصى كغيره من البلاد العربية الإسلامية وكانت هذه الطوائف تسكن أهم المدن مثل مراكش وفاس. وقد استوعبت الدولة المرابطية جميع السكان الذين عاشوا على أرضها إلى جانب المسلمين واتصف حكام هذه الدولة بروح التسامح والمساواة بين الرعايا، فأعطوهم الحقوق الكاملة التي أقرتها الشريعة ونتج عن ذلك نشاط كبير لهذه الأقليات تمثل بالتجارة والصناعة، فضلاً عن مشاركتهم في العمران والبناء، وقد كان تأثير اليهود أكبر من تأثير النصارى في المهن لاسيما في التجارة، وذلك لأن عددهم أكبر، فضلاً عن انتشارهم في مدن واسعة داخل وخارج المغرب

التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500 هـ - 537 هـ) /
1106م - 1142م)
د.إيمان عبد الرحمن حسن العثمان

الأقصى، واشتهروا بتجارة الذهب والرقيق وامتلكوا المال وسعوا إلى الكسب السريع، بينما كانت مشاركات النصارى في حرس البلاط والجيش.

هوامش البحث

- * في آخر أيام يوسف بن تاشفين أمر بتميز يهود المغرب بملابس يختصون بها دون غيرهم من أكمام مفرطة السعة، ولم يزلوا كذلك إلى بداية علي بن يوسف، وما حمل يوسف وأبنة على أرغامهم هذا الذي شكه في إسلامهم، ينظر: المراكشي، عبد الواحد المعجب في تلخيص أخبار المغرب تحقيق: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية، (القاهرة - 1949م)، 1/ 89.
- (أ) عنان، محمد عبد الله، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس وهو العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، لجنة التأليف والنشر (القاهرة - 1964)، ص 52.
- (ب) العاملي، ابن السماك، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: عبد القادر بوبايه، دار الكتب العلمية، (لبنان - 2010)، ص 213.
- (Ñ) دعا ملوك الطوائف المرابطين وعلى رأسهم المعتمد بن عباد أمير أشبيلية الأمير يوسف بن تاشفين لإنقاذ الأندلس من مطامع الأسبان وقد استفتى يوسف الفقهاء في جهاده في الأندلس ضد الممالك الإسبانية بجواز ذلك، وكان من أبرز العلماء أبو الوليد الباجي، ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة النهضة المصرية (القاهرة، 1948)، 7/ 124.
- (O) المراكشي، المعجب، ص 143. وكان يوسف بن تاشفين يعرف بأمير المرابطين أختط مدينة مراكش سنة (465هـ) واتخذها عاصمة له، ووصفه ابن خلكان بأنه كان حازماً ضابطاً لمصالح مملكته مؤثراً لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين محي الدين عبد الحميد، مطبعة النهضة المصرية، (القاهرة - 1948)، 7/ 124.
- (Ó) مؤنس، حسين، موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة - 2009م)، 2/ 78.

- (Ô) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، (بيروت، د.ت):
220 / 12؛ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس وجواهر القاموس، دار أحياء
التراث، (بيروت، 1984)، 1 / 2157.
- (Õ) ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، دار الكتب
العلمية، (لبنان - 2002)، 1 / 3.
- (Ö) سورة التوبة: الآية: 29.
- (×) تشير إلى أن أهل الذمة قد شملت النصارى واليهود والمجوس كان ذلك في عهد عمر بن
الخطاب. ينظر: ابن قيم الجوزية، أهل الذمة، 1 / 33.
- (Ï) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس
والمغرب، نشر جورج كولان وليفي بروفنسال، (ليدن - 1948)، ص 4 / 78.
- (ÏÏ) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 417.
- (ÏÏ) بروفنسال، ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: السيد محمود عبد العزيز سالم،
(القاهرة - 1956)، ص 122.
- (ÏÏÏ) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر (بيروت - د.ت)، 4 /
330.
- (ÏÏÖ) بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، 127.
- (ÏÏÓ) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الهيئة
المصرية العامة للكتب، (القاهرة - 1976م)، 22 / 223.
- (ÏÏÔ) بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص 227.
- (ÏÏÕ) السائح، الحسن، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، (الدار البيضاء - 1986م)،
ص 182.
- (ÏÏÖ) السائح، الحضارة الإسلامية، ص 179.

التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500 هـ - 537 هـ) /
1106م - 1142م)
د.إيمان عبد الرحمن حسن العثمان

- (Ā×) بن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط - 1972)، ص 157.
- (Ā) الصلابي، علي محمود، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، دار المعرفة، (بيروت - 2011)، ص 184.
- (Ā) بوتشيش، إبراهيم عبد القادر، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطلعية، (بيروت - 1998م) ص 71.
- () القزويني، أبو يحيى، عماد الدين زكريا، آثار البلاد وأخبار العباد، نشر منستلفيد، (د.م - 1948)، ص 552.
- (Ñ) بروفنسال، ليفي، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة، (بيروت - 1986)، ص 80.
- (Ö) البيان المغرب، 4 / 77.
- (Ó) يوسف، أشباخ، تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، المركز القومي للترجمة، (القاهرة - 2011م)، ص 83.
- (Ô) محمود، حسن أحمد، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة في عصر المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، (الكويت، 1960)، ص 37.
- (Õ) بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص 262.
- (Ö) بروفنسال، حضارة العرب، ص 80.
- (×) من المعلوم أن مشاركة النصارى في أعيادهم ومشاركتهم في شيء منها نوع من البدع التي حرمها الإسلام، ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، دار الكتب المصرية (القاهرة - 1913)، 2 / 437.
- (ÑĀ) حسن الوزان توفي بعد (900 هـ)، ينظر: وصف افريقيا، ترجمة: محمد حاجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية (الرباط - 1980)، 1 / 201.

- (Ñ) أن التغريب لم يكن شاملاً لكل النصارى فقد بقيت جماعات من النصارى في غرناطة وقرطبة وفي غيرها من القواعد جماعات من النصارى المعاهدين تنمو وتزدهر في هذه المدن، العاملي، الحلل الموشية، ص163، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان (القاهرة - 1955)، 1/ 119.
- (Ñ) هو محمد ابن أحمد ابن رشد الجد من كبار الفقهاء الأندلسيين وقضااتها، ولد سنة (450هـ) ودرس على كبار علماء الأندلس، لقب بـفقيه المالكية في الأندلس، وتولى القضاء في أكثر مدينة من مدن الأندلس، وتوفي سنة (520هـ)، له مؤلفات منها البيان والتحصيل، ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت - 1400 هـ)، 19/ 502.
- (ÑÑ) العاملي، الحلل الموشية، ص163.
- (Ñ) ابن عذاري، البيان المغرب، 4/ 69.
- (Ñ) ابن الآبار، عبد الله بن محمد بن بكر القضاعي، الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة (القاهرة - 1963)، 2/ 193.
- (Ñ) مؤلف، مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، (بغداد - 1986)، ص216.
- (Ñ) بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص127.
- (Ñ) سعد، زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، (الإسكندرية - 1979)، 1/ 106.
- (Ñ×) البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب البكري، المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار إرشاد للطباعة، (القاهرة - 1968)، ص129.
- (Ò) الحميري، محمد عبد المنعم، روض المعطار في خبر الإخطار، تحقيق: محمد عباس، (بيروت - 1975)، ص301.
- (Ò) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق)، نشر دوزي دي خوية، (أمستردام - 1969)، ص305.

التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500 هـ - 537 هـ /
1106م - 1142م)
د.إيمان عبد الرحمن حسن العثمان

- (Ò) مؤنس، حسين، موسوعة تاريخ الاندلس، 2 / 74.
- (ÒÑ) بن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 39.
- (ÒÒ) الميداني، عبد الرحمن حسن، مكابد يهودية عبر التاريخ، دار القلم (دمشق - 2002م)، ص192.
- (ÒÓ) البيان المغرب، 4 / 76 - 77.
- (ÒÔ) أشباخ، تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين، 2 / 293.
- (ÒÕ) الصلابي، تاريخ الدولتين، ص187.
- (ÒÖ) أشباخ، تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين، 2 / 299.
- (Ò×) البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز، المالك والممالك، نشر دي سيلان، (الجزائر - 1587)، ص68.
- (ÒÁ) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي، رحلة ابن بطوطة، تحقيق: علي الكتاني، (بيروت - 1979)، 1 / 388.
- (ÒÂ) حاييم، زعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، دار الثقافة (الدار البيضاء - 1985)، ص11.
- (Ò) زعفراني، ألف سنة من حياة اليهود في المغرب، ص10.
- (ÒÑ) المغيلي، محمد بن عبد الكريم، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر، (الجزائر - 1998)، ص42.
- (ÒÒ) مجهول، الاستبصار، ص202.
- (ÒÓ) المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت - 1968) 1 / 147.
- (ÒÔ) ينظر: ابن خردابة، المسالك والممالك، طبعة ليدن، ص153.
- (ÒÕ) الوزان، وصف أفريقيا، ص131.
- (ÒÖ) الوزان، وصف أفريقيا، ص158.

- (Ô×) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص148.
- (ÔÂ) المقري، نفح الطيب ، 1/ 127.
- (ÔÏ) عبد المنعم، حمدي، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة (القاهرة - 1977)، ص393.
- (Ô) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص69.
- (ÔÑ) المقري، نفح الطيب، 3/ 447.
- (ÔÒ) ينظر: الشنتريني، ابن بسام أبو الحسن، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت - 1979)، ق3 م1/ 427؛ ابن خاقان، أبو نصر الفتح، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين يوسف، مكتبة المنار ، (الأردن - 1989)، ص180.
- (ÔÓ) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة - 1964)، 1/ 127.
- (ÔÔ) زعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ص101.

قائمة المراجع والمصادر

- المصادر:
- ابن بسام، أبو الحسن الشنتريني، (542هـ - 1147م)
1. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة (القاهرة - 1945)، ق3 م1/ 427.
- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن ايوب البكري، (ت 485 - 1194م)
2. المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجى، دار إرشاد للطباعة، (القاهرة - 1968).
- بن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي
- 3- رحلة ابن بطوطة، تحقيق: علي الكتاني، (بيروت - 1979)،
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 560 - 1154م)

التعاشيش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500 هـ - 537 هـ /
1106م - 1142م)
د.إيمان عبد الرحمن حسن العثمان

4. صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (نزهة المشتاق اختراق الأفاق) نشر دوزي دي خوية، (أمستردام - 1969).
- الحميري، محمد عبد المنعم، (ت 900 - 1494م)
5. الروض المعطار في خبر الأخطار، تحقيق: محمد عباس، (بيروت - 1975).
- ابن سعيد،
6. المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ظيف، (القاهرة - 1964).
- ابن خاقان، ابو نصر الفتح بن عبد الله، (ت 555 هـ / 1134م)
7. قلائد العقيان ومحاسن الاعيان، المطبعة الخديوية (القاهرة - 1283 هـ).
- ابن خردابة
- 8- المسالك والممالك، طبعة ليدن.
- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله الغرناطي (ت 776 هـ / 1374م)
9. للإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، (القاهرة - 1955).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (ت 681 هـ / 1282م)
10. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد حاجي، مطبعة النهضة المصرية، (القاهرة - 1948).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ / 1774م)
11. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت - 1400 هـ).
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حياً 713 هـ)
12. البيان المغرب، نشر جورج كولان وليفي بروفنسال، (ليدن - 1948).
- بن أبي زرع، محمد بن عبد الله (كان حياً 726 هـ / 1325م)
13. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط - 1972).

- العاملي، ابن السماك،
13- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: عبد القادر بوبايه، دار الكتب العلمية،
(لبنان - 2010)
- القزويني، أبو يحيى، عماد الدين زكريا بن محمد (ت 682 هـ / 1283م)
14. آثار البلاد وأخبار العباد، نشر منستفيد، (د.م - 1948).
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت 821 هـ / 1431م)
15. صبح الأعشى في صناعة الأنثاء، دار الكتب المصرية (القاهرة - 1913).
- مؤلف، مجهول،
16. الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، (بغداد - 1986).
- المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي (ت 647 هـ / 1249م)،
17. المعجب في تلخيص أخبار المغرب تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العلمي، ط 1،
المكتبة التجارية، (القاهرة - 1949م).
- المغيلي، محمد بن عبد الكريم
18- مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر، (الجزائر -
1998)،
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (1041 هـ / 1631م)،
19. نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت - 1968).
- الزيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، (ت 712 هـ / 1312م)
20. تاج العروس وجواهر القاموس، دار أحياء التراث، (بيروت، 1984).
- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت 711 هـ / 1311م)
21- لسان العرب دار صادر، (بيروت، د.ت).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت 733 هـ / 1139م)
22. نهاية الأرب في فنون الأدب، (القاهرة - 1976م).

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، (ت 752 هـ / 1252م)
23. أحكام أهل الذمة، دار الكتب العلمية، (لبنان - 2002).
- الوزان، الحسن محمد الفاسي، (ت 926 هـ - 1519م)
24. وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حاجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية (الرباط -
1980).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، (ت 626 هـ / 1229م)
25. معجم البلدان، دار الفكر (بيروت - د.ت.).
- **المراجع:**
- بروفنسال، ليفي،
1. الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: السيد محمود عبد العزيز سالم، (القاهرة - 1956).
- بروفنسال،
2. حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة، (بيروت - 1986).
- بوتشيش، إبراهيم عبد القادر،
3- حاييم، زعفراني،
ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، دار الثقافة (الدار البيضاء - 1985)،
3. مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين.
- السائح، الحسن،
4. الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، (الدار البيضاء - 1986م).
- سعد، زغلول عبد الحميد،
5. تاريخ المغرب العربي، (الإسكندرية - 1979).
- الصلابي، علي محمود،
6. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، دار المعرفة، (بيروت - 2011).
- عنان، محمد عبد الله،

7. عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس وهو العصر الثالث من كتاب دولة الاسلام في الاندلس (القاهرة - 1964).
- كحيلية، عبادة،
8. تاريخ النصارى في الاندلس، دار السعادة (القاهرة - 1993).
- محمود، حسن أحمد،
9. قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة في المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، (الكويت، 1960).
- مؤنس، حسين،
10. موسوعة تاريخ الاندلس المحيط.
- الميداني، عبد الرحمن حسن،
11. مكاييد يهودية عبر التاريخ، دار القلم (دمشق - سوريا).
- يوسف، أشباخ،
12. تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، المركز القومي للترجمة، (القاهرة - 2011م).